الشعر

للسيد محسن الأمين الحسيني

ما جاء في ذم الشعر

قال : الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) وقال تعالى في حق النبي ﷺ وما هو بشاعر فيقال لو كان الشعر صفة مدح لما نفاه عنه وقال ﷺ : لأن يمتلىء قلب الرجل قيحاً خير من أن يمتلىء شعراً . وكتب جعفر بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المعروف بالمحقق فقيه الإمامية المتوفى سنة ٦٧٦ هـ الى والده بهذه الأبيات :

ألم تر أني كل يوم الى العلا ... اقدم رجلاً لا تزل بها النعل
وغير بعيد أن تراني مقدماً ... على الناس حتى قيل ليس له مثل
تطاوعني بكر المعاني وعونها ... وتنقاد لي حتى كأني لها بعل
ويشهد لي بالفضل كل مبرز ... ولا فاضل الا ولي فوقه فضل

قال فكتب اليّ فوق هذه الأبيات : لئن أحسنت في شعرك لقد أسأت في حق نفسك أما علمت أن الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة والشاعر ملعون وان أصاب ، ومنقوص ولو أتى بالشيء العجاب ، وكأني بك قد دهمك الشعر بفضيلته فجعلت تنفق منه ما تنفق بين جماعة لا يرون لك فضلاً غيره فسموك به وكان ذلك وصمة عليك آخر الدهر أما تسمع :

ولست أرضى أن يقال شاعر ... تباً لها من عدد الفضائل

قال فوقف عند ذلك خاطري حتى كأني لم أقرع له باباً ولم أرفع له حجاباً .

ما جاء في مدح الشعر

قال : رسول الله ﷺ ان من الشعر لحكمة وقال ﷺ ان من البيان لسحراً لما أعجبه كلام عمرو بن الاهتم . وعنه ﷺ روّوا أولادكم لامية الشنفرى ولا تروهم مقاطعة آل غسان كما يأتي . وقد استنشد رسول الله ﷺ الشعر واستحسنه ومدح قائله وأجاز عليه وعفا بسببه عمن يستحق العقاب وقبل وسيلة من توسل به وشفع من استشفع به ، والصحابة كان فيهم الشعراء ومن يستنشد الشعر ويجز عليه ، والنبي ﷺ كان له منهم شعراء يهجون المشركين عبدة الاوثان وشعراءهم ويجيبونهم ويحامون عن النبي ﷺ منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وغيرهم . وكذلك التابعون وتابعو التابعين والعلماء في كل عصر وجيل . وكفى ذلك دليلا على فضيلة الشعر ومدحه .

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : روهم الشعر يمجدوا وينجدوا . وقال الزبير بن بكار : رووا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل . ومما قيل في مدح الشعر من الشعر قول القائل :

ومستخفٍ بقدر الشعر قلت له ... لا ينفق العطر الا عند عطار

وقول الآخر :

وفي الناس من لا يحسب الشعر رتبة ... وما الناس لولا الشعر إلا بهائم

وقال أبو اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي المتوفى سنة ٥٢٤ :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم ... باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلا ... والشعر طيب لا يحل لمحرم

وقال أيضاً :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

لم يبق في الدنيا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وقال الامير أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني من أبيات

الشعر ديوان العرب أبداً وعنوان الأدب

أما ما جاء في ذم الشعر مما مر فمحمول على اتخاذه للهو واللعب والغناء به كما كانت تستعمله الملوك والامراء وعلى استعماله فيما لا يرضي الله تعالى من مدح من يستحق الذم وذم من يستحق المدح والكذب فيه وثلب أعراض الناس بالهجاء أو الاشتغال به عما أوجبه الله تعالى أو غير ذلك وامتلاء القلب منه المشار اليه في الحديث الشريف يشير الى الاكثار منه والاشتغال به عن كل شيء، والشعراء الذين ذمهم الله تعالى في الآية السابقة قد بين صفتهم فالمذمومون هم أصحاب تلك الصفة. وأما آية «وما هو بشاعر» فهي رد على قريش الذين قالوا عنه ﷺ انه شاعر ولا دخل لها بذم الشعر ولا بمدحه ان لم تدل على عظم قدر الشعر عند العرب. وأما قول بعض العلماء المتقدم ان الشعر صناعة من خلع العفة وليس الحرفة وجعله ملعوناً ومنقوصاً فالمراد به اتخاذ الشعر حرفة يستجدي بها الناس ويمدح به من لا يستحق المدح أو يمدح الشخص بما ليس فيه ويهجى به الناس وتثلب أعراضهم وتقذف به المحصنات ويتعاطى فيه الفحش ونحو ذلك ولهذا جعله صناعة من خلع العفة ووصمة يعاب بها الرجل طول عمره. وهذا العالم خاف على ابنه أن يتعاطى صناعة الشعر ويشتهر به ويشغله ذلك عما كان يتوسمه فيه من الارتقاء في درجات العلوم وكل هذا ليس ذماً للشعر من حيث أنه شعر بل ذم لما يعرض بسبب تعاطيه واتخاذه صنعة كما كان يقع من الشعراء الذين يتخذونه للمدح والهجاء من الانشغال به عن الكمالات والاتسام به على النحو المذكور.

مزية الشعر

ان للشعر من بين أنواع الكلام مزايا ليست لغيره قال أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد: الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لايامها والشاهد على حكامها حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة، فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير ويقال لها: «المعلقات»

لامرىء القيس (قفا نبك)، لزهير (أمن أم أوفى)، لطرفة (لخولة أطلال)، لعنترة (يا دار عبلة)، لعمرو بن كلثوم (الاهبي)، للبيد (عفت الديار)، للحارث بن حلزة (آذنتنا ببينها أسماء).

ومن كلف العرب بالشعر وسمو منزلته عندها انها كانت اذا أرادت انشاد قصيدة المهلهل لا تنشدها حتى تغتسل اعظاماً لها واعجاباً بها.

فمن مزايا الشعر التي ليست لغيره من أنواع الكلام انه لكونه مقفى وعلى أوزان خاصة يسهل حفظه ويروق انشاده فيطرب النفوس ويكون أشد تأثيراً فيها وكانت العرب تحدوا بها ابلها في سيرها فترى انه يؤثر فيها ويحملها على الاسراع.

(ومنها) انه يوجب بحفظه وانشاده تهذيب الاخلاق والحث على محاسن الافعال بما فيه من حكم وآداب وحماسة ونحو ذلك وقد يحمل على ضد ذلك بحسب ما يشتمل عليه ولذلك قال النبي ﷺ فيما روي عنه: رووا اولادكم لامية الشنفرى فانها تعلمهم مكارم الاخلاق ولا ترووهم مقاطعة آل غسان — وذلك لما في لامية الشنفرى من الحث على اباء الضيم

ومفارقة من لا خير فيه والصبر والجلد وتحمل المشاق لنيل المآرب الجليلة والتباعد عن منة الخلق وغير ذلك . وما في مقاطعة آل غسان من الحث على الانتقام وترك العفو والصفح ، فمن لامية الشنفرى المعروفة بلامية العرب قوله يحث على اباء الضيم ومفارقة من لا خير فيه وان كان حميما قريباً وترك البلاد التي ينال المرء فيها الأذى إلى غيرها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فاني الى قوم سواكم لأميل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرىء ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

يقول فيها :

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ اجشع القوم أعجل
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل ... عليهم وكان الأفضل المتفضل

ثم يقول في مفارقة من لا خير فيه :

واني كفاني فقد من ليس جازياً ... بنعمى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع[1] ... وأبيض إصليت وصفراء عيطل[2]

ثم يقول في تجنب ما لا يحمد من الصفات :

ولست بهياف[3] يعشي سوامه[4] ... مجدعة[5] سقبانها[6] وهي بُهل[7]
ولا جبأ[8] أكهى[9] مريب[10] لعرسه ... يطالعها في أمره كيف يفعل
ولا خرق[11] هيق[12] كان فؤاده ... يظل به المكاء[13] يعلو ويسفل

---

(١) شجاع جريء .
(٢) عيطل طويلة وهي القوس .
(٣) الهياف السريع العطش .
(٤) يرعاها ليلا خوفاً من العطش
(٥) سيئة الغذاء .
(٦) اولادها
(٧) عليها سرارها وهو ما يشد به ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها .
(٨) جبان .
(٩) جبان ضعيف .
(١٠) ملازم .
(١١) دهش من الخوف
(١٢) رقيق طويل .
(١٣) طائر .

ولا خالف[1] دارية[2] متنزل ... يروح ويغدو داهناً يتكحل
ولست بعبل[3] شره دون خيره ... الف[4] اذا ما هجته اهتاج أعزل[5]
ولست بمحيار الظلام إذا انتحت ... هدى الهوجل[6] العسيف[7] بهاء هوجل[8]

ثم وصف جلده وصبره على المتاعب وإقدامه وقوته فقال :

إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمي ... تطاير منه قادح ومفلل
أديم مبطال الجوع حتى أميته ... وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل

ثم وصف إباءه عن تحمل منة الناس ولو كان في أشد الحاجة وقادراً على الكسب الدنيء فقال :

واستف ترب الأرض كيلا يرى له ... علي من الطول امرؤ متطول
ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب ... يعاش به الى لدي ومأكل
ولكن نفساً حرة لا تقيم بي ... على الضيم إلا ريثما أتحول
وأطوي على الخمص[9] الحوايا[10] كما انطوت ... خيوطة ماري[11] تمار[12] وتفتل
وأغدو على القوت الزهيد كما غدا ... ازل[13] نهاه الثأف أطحل[14]

ثم وصف سيره ليلا وتبكيره فقال :

وتشرب اسآري[15] القطا الكدر[16] بعدما ... سرت قربا[17] أحناؤها[18] تتصلصل[19]

---

(١) لا خير فيه .
(٢) لا يفارق البيوت .
(٣) العل للسن الصغير الجثة .
(٤) عاجز .
(٥) لا سلاح معه .
(٦) الطويل الذي فيه تدرع وحق .
(٧) الآخذ على غير الطريق .
(٨) فلاة لا أعلام بها .
(٩) ضمور البطن .
(١٠) الأمعاء .
(١١) اسم رجل أو كساء .
(١٢) يحكم فتلها .
(١٣) خفيف الوركين وللراد الذئب يتولد من الضبع والذئب .
(١٤) لونه بين الغبرة والبياض
(١٥) جمع سؤر وهو بقية الماء .
(١٦) الكدرة الغبرة .
(١٧) القرب سير الليل لورود الغد
(١٨) جوانبها .
(١٩) تصوت .

ثم ذكر انه لا يتغير في حالتي عدمه وغناه فقال :

وأعـــدم أحياناً وأغنى وانما ... ينال الغنى ذو البعدة(١) المتبذ_ل(٢)
ولا جزع من خلة(٣) متكشف(٤) ... ولا مرح(٥) تحت الغنى أتخيل(٦)

ثم وصف صبره على المتاعب والشدائد وشظف العيش فقال :

ويوم من الشعرى(٧) يذوب لعابه(٨) ... أفاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن(٩) دونه ... ولا ستر الا الاتحمي(١٠) المرعبل(١١)
وضاف(١٢) اذا هبت له الريح طيرت ... لبائد عن أعطافه ما ترجل(١٣)
بعيد بمس الدهن والغلي عهده ... له عبس(١٤) عاف(١٥) من الغسل محول(١٦)

* * *

ومن مقاطعة آل غسان قوله :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ... ولا يسوغه المقدار ما رغبا
لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها ... ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً ... وأضرموا النار فاجعلهم لها حطبا

* * *

(١) اسم للبعد .
(٢) الذي لا يصون نفسه .
(٣) حاجة وفقر .
(٤) مظهر حاجته وفقره للناس .
(٥) ذو مرح وبطر .
(٦) التكبر
(٧) نجم يطلع في شدة الحر .
(٨) مايرى متدلياً عند الهاجرة كالخيوط .
(٩) لا ستر .
(١٠) نوع من البرود .
(١١) للتخرق .
(١٢) شعر كثير طويل .
(١٣) ما تسرح .
(١٤) وسخ .
(١٥) متروك .
(١٦) اتى عليه حول .

(ومنها) انه يخلد لصاحبه ذكراً على ممر الدهور والاعوام ولولا الشعر لكان جماعة كثيرون من المشهورين في عداد المنسيين لا يذكرهم ذاكر ولا يعرفهم أحد وانما عرفوا واشتهروا وخلد ذكرهم على الألسن وفي بطون الدفاتر بما أثر عنهم من الشعر وإلا فمن الذي كان يعرف رعاء العرب ولصوصهم وصعاليكهم وكثيراً من أهل الجاهلية لولا الشعر وجماعة من أهل الفضل لم يعرفوا إلا بشعرهم .

(ومنها) ان الشعر تقيد به الحوادث التاريخية وتحفظ وجملة منها قد عرفت من الأشعار أكثر مما عرفت من كتب التاريخ .

(ومنها) ان الشعر تعرف منه نفسية الشاعر ويكون أبلغ مترجم عنها وتفيد المؤرخ والمترجم ما لا تفيده كتب التاريخ .

(ومنها) انه يصير في عنق من قيل فيه كطوق الحمامة مدحاً وذماً فتتناقله الألسن وتحفظه الناس حتى الصبيان والعواتق في خدورها ولذلك كان الملوك والأمراء يتقون ألسنة الشعراء ويحتملون منهم ما لا يحتملون من أحد ويجزلون لهم العطايا والمواهب وفي ذلك يقول ابن الرومي :

لا تقبلن المدح ثم تعقه ... وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا ... حكموا لأنفسهم على الحكام
وظلامة العادي عليهم تنقضي ... وعقابهم يبقى على الأيام

وكان الشعراء في تلك الأعصار أشبه بأهل الجرائد اليوم وكان بنو أمية يكرمون الفرزدق وكثير عزة ويجيزونها ويحتملون منها وكلاهما علوي الرأي طمعاً في المدح وخشية من القدح وكذلك بنو العباس كانوا يكرمون السيد الحميري ويجيزونه وهو علوي الرأي

(ومنها) تهييجه النفوس وتأثيره فيها تأثيراً يتفاوت بحسب مزيته في الفصاحة والبلاغة ورقة اللفظ وحسن سبكه والسجامه واشتماله على النكات المستملحة والخصائص البديعة والألفاظ المستعذبة والأمور المهيجة للنفس بحسب المقامات كالرقة في الغزل والتهويل في الحماسة ووصف الحرب وحسن الأسلوب في الاعتذار والشفاعة والحث على الحلم والصفح والتفجع في الرثاء وغير ذلك .

فالشعر بشدة تأثيره في النفوس يرقق القلوب ويعطفها ويحمل على العفو عن المذنبين . وكم جاد به البخيل وبخل الجواد وشجع الجبان وجبن الشجاع وأبغض الحبيب وحبب البغيض واستملح القبيح واستقبح المليح واطفئت نائرة الغضب وقبلت الشفاعات فيمن استحق أشد العقاب وصفح عمن استحق القتل وشاهده وقتل من نال العفو وعوقب من لا يستحق العقاب وفرج عمن هو في ضيق وأثار الفتن بين القبائل ولانت القلوب القاسية وقست اللينة وتعلم الجاهل واتعظ المتمادي وفرح الحزين وحزن الفرح وسلي الشجي وشجي الخلي واستغنى الفقير وافتقر الغني ونبه الخامل وخمل النابه واتضع الرفيع وارتفع الوضيع وقهر العدو وسر الولي وأدرك الثأر وفتحت البلاد الى غير ذلك مما يجده المطلع على أخبار الماضين من الشعراء والملوك والأمراء وغيرهم .

فمن ترقيق الشعر للقلوب ان النبي ﷺ بعد ما قتل النضر بن الحارث ابن كلدة عقب أسره يوم بدر لشره وشدة أذاه لما سمع أبيات بنته أو أخته قتيلة التي تقول فيها :

أمحمد ولأنت ضنء نجيبة في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

رق لها وبكى وقال : لو بلغني شعرها قبل قتله ما قتلته .

(ومن) الشعر الذي صار في عنق من قيل فيه كطوق الحمامة والضع به الرفيع أن بني نمير كانوا جمرة من جمرات العرب وكانوا إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بني نمير ! فلما قال فيهم جرير من قصيدة يهجو بها الراعي

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

جعلوا اذا سئلوا عن نسبهم لا ينتسبون إلى نمير ويتجاوزونه إلى أبيه

عامر بن صعصعة . ولما قال هذيل الأشجعي في عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة من أبيات :

إذا كلمته ذات دل لحاجة ورام بأن يقضي تنحنح أوسعل

روي واشتهر حتى قال عبد الملك ربما جاءتني السعلة والنحنحة وأنا في المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره .

وكان في العرب قبيلة تسمى (بني أنف الناقة) وذلك أن جدهم قريع ابن عوف بن مالك نحر ناقة وقسمها على أولاده ونسي ولده جعفراً فأرسلته أمه اليه ولم يبق غير الرأس فأعطاه إياه فأدخل أصابعه في الأنف وجعل يجره فلقب أنف الناقة فكان بنوه إذا سئلوا ممن يقولون من بني قريع فيتجاوزون جعفراً أنف الناقة إلى أبيه فرقاً من هذا الاسم إلى أن نقل أحدهم ، وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن ثمامس بن جعفر أنف الناقة ، الحطيئة الشاعر من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه فقال الحطيئة :

سيري أمام فان الأكثرين حصى والأكرمين إذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا ؟

فصاروا يفخرون بهذا النسب بعد ما كانوا يفرقون منه

ولما بذل عرابة الأوسي وسق بعير تمراً للشماخ بن ضرار في سنة شديدة قال فيه الشماخ :

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

صار ذلك مثلا سائراً وأثراً باقياً .

(ومن) رفع الشعر الوضيع أن الأعشى قدم مكة وكان المحلق امرأة أو أم عاقلة فقالت له أن الأعشى قدم وهو رجل مفوه مجدود في الشعر ما مدح أحداً إلا رفعه ولا هجا أحداً إلا وضعه وأنت رجل فقير خامل

الذكر ذو بنات فلو سبقت الناس اليه فدعوته إلى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما تشتري به شراباً لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له وخبزت المرأة وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الأعشى وأصحابه قدم الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فسأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الأعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي معشق

إلى أن قال :

نفى الذم عن آل المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي تفهق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا ... بأسحم داج عوض لا تتفرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه ... كما زان متن الهندواني رونق

فما أتم القصيدة إلا والناس يتسللون إلى المحلق يهنئونه والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى .

(ومن) استملاح القبيح بسبب الشعر ما يحكى أن رجلاً قدم المدينة بخمر سود فبارت عليه فوعد بعض الشعراء بشيء من المال لينظم له شعراً في مدح الخمر الأسود فقال :

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره ... حتى قعدت له بباب المسجد

فتسابقت الناس على شراء تلك الخمر .

ومن تمليح الشعر ما ليس بمليح إنه لا أبشع ولا أنفر من حالة اعرابي وسخ الثياب والبدن قد كثر القمل في ثيابه وانتشر فوق اهابه وتغلغل

في شعره فجلس في الشمس يفلي ثيابه ويقتل منها القمل وقد صبغت أظافره بدمائها فلما وصف الشاعر العربي حاله وأجاد في وصفها بحسن أسلوبه كان ذلك من جملة مختارات أبي تمام في ديوان الحماسة ومما يتلى في المجامع وتلذه القلوب والمسامع وتشرح العلماء الفاظه وتعجب ببلاغته ويخلد ذكر من قاله وقيل فيه في بطون الكتب ، والا فماذا يتصور المتصور ان يفعل من يريد وصف اعرابي جلس في الشمس يفلي ثيابه ويقتل منها القمل وماذا يستطيع أن يأتي به في هذا الموضوع قال أبو تمام في الحماسة وقال آخر ومر بأبي العلاء العقيلي يفلي ثيابه :

واذا مررت به مررت بقانص ... متشمس في شرقه مقرور
للقمل حول أبي العلاء مصارع ... من بين مقتول وبين عقير
وكأنهن لدى زرور قميصه ... فذ وتوأم سمسم مقشور
ضرج الأنامل من دماء قتيلها ... حنق على أخرى العدو مغير

(ومن) تبغيض الشعر للحبيب وتحبيبه للبغيض أنه صرف رأي النعمان ابن المنذر عن نديمه وجليسه المقدم عنده حين وفد على النعمان المبسيون والعامريون بنو أم البنين وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان فطعن على العامريين لعداوته لهم وصرف قلب النعمان عنهم فرأوا منه جفاء بعد ما كان يكرمهم وكان معهم لبيد الشاعر المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد وهي :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وهو غلام يرعى إبلهم ويحفظ أمتعتهم فرآهم يتناجون فسألهم فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعاً ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني وكانت أمه عبسية فقالوا له خالك غلبنا على الملك فقال اجمعوا بيني وبينه غداً عند الملك فامتحنوه ببقلة فذمها أبلغ ذم فقال لهم رئيسهم عامر بن جعفر

ملاعب الأسنة انظروه فان رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرقبوه فوجدوه قد ركب رحلاً يكدم وسطه حتى أصبح فألبسوه حلة ودخلوا به على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع فأنشد لبيد يقول :

يارب هيجا هي خير من دعه — اذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بنو أم البنين الأربعه — ونحن خير عامر بن صعصعه
الضاربون الهام تحت الخيضعه — والمطعمون الجفنة المدعدعه
مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه — ان امه من برص ملمعه
يدخل فيها كل يوم أصبعه — يدخلها حتى يواري اشجعه
كأنه يطلب شيئاً ضيعه

فقال النعمان للربيع أكذلك أنت ؟ فقال كذب ابن الحمق اللئيم فقال النعمان أف لهذا الطعام لقد خبث عليّ طعامي وأمر الربيع بالانصراف إلى أهله فطلب أن يبعث له من يجرده ليعلم أنه ليس كذلك فقال النعمان :

قد قيل ذلك إن حقاً وان كذباً — فما اعتذارك من قول إذا قيلا

ومن تسبيب الشعر العفو عمن استحق العقوبة ان النبي ﷺ عفا عن كعب بن زهير بن أبي سلمى بعد ما أهدر دمه وحباه وأكرمه لما أنشده قصيدته المشهورة المعروفة ببانت سعاد .

وعفا رسول الله ﷺ عن اسرى حنين من هوازن بشعر أبي جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرنا النبي ﷺ يوم حنين فوقفت بين يديه وأنشدته :

أمنن علينا رسول في حرم — فانك المرء نرجوه ونتنظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها — يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
انا لنشكر للنعمى اذا كفرت — وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فقال ﷺ أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم فقالت الأنصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله .

وعفا المعتصم عن تميم بن جميل من الأوس بن تغلب بشعر قاله حيث خرج عليه فقدم الى السيف والنطع ليقتل فقال .

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً — يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي — وأي امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة — وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف — يسل علي السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وانني — لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم — وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهم — وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة — أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائل لا أبعد الله داره — وآخر جذلان يسر ويشمت

ومن تسبيب الشعر العقوبة بعد العفو ان أبيات العبدي التي أنشدها عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بفلسطين وأولها (وقف المتيم في رسوم ديار) كانت سبباً في قتل من عنده من بني أمية ، وأبيات سديف بن ميمون التي أنشدها السفاح وأولها :

أصبح الملك ثابت الأساس — بالبهاليل من بني العباس

كانت سبباً في قتل من عنده من بني أمية .

ومن قبول شفاعة المتشفع بسبب الشعر أن امرأة عاذت بقبر غالب أبي الفرزدق وضربت عليه فسطاطاً وكان الفرزدق لا يعوذ بقبر أبيه عائذ إلا قضى حاجته فسأل الفرزدق عما نزل بها فقالت ان ابناً لي اسمه حبيش أغزي إلى السند مع تميم بن زيد وهو واحدي فكتب اليه الفرزدق :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي — بظهر فلا يخفى عليّ جوابها

وهب لي حبيشاً واتخذ فيه منة ... لحرمة أم ما يسوغ شرابها
أتتني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافي عليها ترابها

فلم يعرف التميم أن اسمه حبيش أو حنيش (لان النقط لم تكن معروفة) ولم يعرف ابنها بعينه فعرض جميع من معه من الجند وأطلق كل من اسمه حبيش أو حنيش .

وغضب مالك بن طوق على قومه بني تغلب حين أفسدوا الطرق في عمله فتشفعوا بأبي تمام فقال يخاطبه :

ورأيت قومك ـ والإساءة منهم ـ ... جرحى بظفر الزمان وناب
فمضت كهولهم ودبر أمرهم ... أحداثهم تدبير غير صواب
لا رقة الحضر اللطيف غذتهم ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب
فاذا كشفتهم وجدت لديهم ... كرم النفوس وقلة الآداب
لك في رسول الله أعظم أسوة ... وأجلها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم ... كرماً ورد أخائذ الأحزاب

فقبل شفاعته فيهم .

وغضب سيف الدولة بن حمدان على بني كلاب فأغار عليهم فغنم الأموال وسبى الحريم فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم فقال من قصيدة :

ترفق أيها المولى عليهم ... فان الرفق بالجاني عتاب
فانهم عبيدك حيث كانوا ... اذا تدعو لنائبة أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا ... بأول معشر خطئوا فتابوا
وماجهلت أياديك البوادي ... ولكن ربما خفي الصواب
وجرم جره سفهاء قوم ... وحل بغير جارمه العذاب

ومن تسبيب الشعر تشجيع الجبان أن أبيات عمرو بن الأطنابة التي يقول فيها :

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

كانت سبباً في توقف معاوية عن الهرب يوم صفين بعد ما وضع رجله في الركاب ليهرب .

ومن تسبيب الشعر اثارة الحمية وايقاع الفتن بين القبائل ان قول البسوس لما ضرب كليب ضرع ناقتها بسهم :

لو انني أصبحت في دار منعة ... لما ضيم زيد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة ... متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي

هاجت حرباً بين بكر وتغلب بن وائل دامت أربعين سنة .

ومن تسبيب الشعر عقاب من لا يستحق العقاب ان بيتين قالتها امرأة مدنية كانا سبباً في حلق رأس نصر بن حجاج ونفي الخليفة اياه إلى البصرة وهما :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أو من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى طيب الأعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج

ومن تسبيبه الفرج عمن هو في ضيق أن عمر سمع وهو يتجسس في الليل امرأة تقول :

لقد طال هذا الليل وازور جانبه ... وليس إلى جنبي خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأرسل اليها فقالت ان زوجها في البعث فأمر برده وأن لا يبقى الرجل في البعث أكثر من أربعة أشهر .

دمشق : سنة ١٩٤٥